

الرجل والمرأة

مقالة عامة بينها

قامت في اثنان الاخير صبيحة نسائية تنادي بحجور دائرة الحصر التي حصر
النساء ضمنها منذ امد بعيد وحلّ الاغلال التي غلّت بها ايديهن اسوة بالرجال
هنّ ما لهم وعينين ما عليهم

وقد اعارت فئة من الرجال هذه الصبيحة اذناً صاغية . اما القشة الاخرى وهي
انكبرى فاطارتها اذناً صماء وعندنا لذلك سببان : الاول ان تكبير القيود التي قيدت
النساء الآن يفضي الى عواقب اجتماعية وادبية غير محمودة . والثاني ان المرأة
لا تسبح بطبيعة خلقها لبعض الاعمال التي اختص الرجال انفسهم بها . وغني عن
البيان ان الاعتبارات التي تقع تحت السبب الاول هي خارج دائرة العلم بالمرأة
لان ما يعد محموداً من الوجهة الاجتماعية او الادبية يتوقف على نظر الفرد لا على
قضية علمية معينة . اما السبب الثاني فواقع ضمن دائرة البحث العلمي فلتبحث
الآن فيما اذا كان في ضيعة المرأة ما يحول دون عمل بعض الاعمال التي يعملها الرجل .
ولا ينكر ان بعض العلماء جزوا جزماً بأنها بان المرأة دون الرجل استعداداً بحكم
فطرتها وفي تلميذهم الاستاذ سدويك الاميركي ولكن الانصاف يقضي بالقول
انهم انما بنوا احكامهم على التقليد لا العلم

واول ما تفتتح به هذا البحث ان معظم السبب في الاعتقاد الشائع بان المرأة
دون الرجل كفاءة في بعض الاعمال كونها لم تعملها فيما مضى ولا تعملها الآن .
فاذا مالت الى عمل احدها عدوا هذا الميل منها غير طبيعي وزعموا انها تخالف
به فطرتها . ولكن هذا الزعم ليس من المنطق في شيء . اذ لا يبعد ان يكون
بين الاسباب التي حالت دون استناع المرأة عن عمل هذا العمل او احتراف هذه
الحرفة من حرف الرجال في الماضي اسباب تاريخية لا فطرية بحجة . ولنضرب
على ذلك مثلاً حرفة العمل على الالة الكاتبة . فان معظم هذه الحرفة او كلها
تقريباً في يد النساء في اوربا واميركا وكانت في يد الرجال فيما مرّ . وليس فينا
عاقل يقول ان سبب هذا الانقلاب من الشيء الى ضده انقلاب في ضيعة

الرجل والمرأة صارت به المرأة صالحة لما لم تكن تصلح لأمر الرجل غير صالح لما كان يصلح له

دائرة المرأة

فما يجب التنبيه له عند الكلام على هذا الموضوع ان انصار المرأة وحسبها ضلوا فيه على السواء فبين انصارها ثقة كثيرة تمتد بانة آتى على النوع الانساني حين من الدهر كانت المرأة فيه صاحبة الكلمة الاولى والثغرة الاولى وكان الرجل في الحال الثاني . وقد سموا هذا الدور دور الامومة اي سيادة الام . ثم دار بالمرأة دولاب الدهر فهبط وحل الرجل محلها . وعينه يذهبون بناء على هذا الاعتقاد الى ان المحطات منزلة المرأة في عصرها هذا عن منزلة الرجل ليس سببه خلقياً فطرياً بل هو نتيجة تفوق الرجل اجتماعياً وهذا التفوق اتفاني كما رأيت

على ان هذا الرأي سفسطة اذ لم يتم ثمة دليل يدل على حقيقة وجود الدور الذي زعم انصار المرأة انها كانت الحاكمة السائدة فيه . وواقع الامر ان كثيراً من القبائل الاولى اتبعت نظام الامومة اي الانتساب الى الام على الاطلاق في حين ان قبائل كثيرة غيرها اتبعت نظام الابوة اي الانتساب الى الاب فقط دون الام . على ان هناك قبائل كثيرة لم تجر على احد هذين النظامين وليس عندها شاهد فرد على ان قبيلة من القبائل جرت على نظام الامومة قبل جريها على نظام الابوة . فلا يصح والحجاة هذه ان يقال ان نظام الامومة كان في عصر مضى هو النظام الشائع في المجتمع الانساني . ولو فرض انه كان كذلك ما افدنا هذا الترض قائدة يصح السكوت عليها . اذ الامومة اي الانتساب الى الام شيء وسيادة المرأة شيء آخر وشتان بين الامرين . ففي كولومبيا الانكليزية مثلاً تجدد الاهالي الاصليين بحجرون على نظام الامومة في الاسم والارث فيسمى الرجل باسم امه ويرث تركه خاله لا عمه ولكن المرأة عندهم تانية الرجل في نظامهم الاجتماعي على حقارتهم

هذا هو النظام الشائع بين الناس وما شهدناه فنادر لا يقاس عليه . مثال ذلك قبيلة الاروكوا من هنود اميركا فانهم ينتسبون الى الام . والمرأة عندهم تدبر دفة الشؤون الاجتماعية والسياسية دون الرجل

عني ان المسئلة الجوهرية التي يراد تحقيقها هي بيان الاشواط التي جرت المرأة فيها في التربية وامكنة مختلفة والاعمال التي عماتها اما وحدها او مشاركة للرجل فيها. فمن التمييز الاول تربية الاولاد وقد اختلفت بها بداعي الضرورة البيولوجية (١) وهذه المهمة وكون المرأة اضعف بنية من الرجل منعها من الحرب والقتل. وجميع الامثال تدل على انه ليس في فطرة المرأة غير ما تقدم ما يمنعها من مشاركة الرجل في سائر الاعمال والاشغال. ففي كل قبيلة من قبائل البشر تنقسم الاعمال بين الرجال والنساء تنقيماً لا يقتصر على ما تتطلبه تربية الاطفال وما بين الرجل والمرأة من الاختلاف في القوة البدنية. وهذا التقسيم يختلف باختلاف القبائل فبين قبيلة الهوبي مثلاً يحتكر الرجال صناعة الحياكة في حين ان النساء يحتكرن هذه الصناعة تضهما بين قبيلة النفاجر (٢) والمعهور ان النفاجر تعلمت هذه الصناعة من الهوبي ويكاد عمل النفاجر بين قبائل اميركا الشمالية يكون من صناعات النساء دون الرجال بخلاف ما هي الحال في افريقية حيث يصنع الرجال النفاجر الا فيما ندر. والنساء يدفنن الجلود بين قبيلة هنود الزدسكتر ويحرقن الارض ويزرعنها بين قبيلة هنود الاروكواز في حين ان الرجال هم الفلاحون بين هنود قبيلة بريلو. وترى ارجال بين هنود قبائل السهول في اميركا ينتشون الملابس ويعصرون روث عليها صدر الاشياء الحقيقية في حين ان نساءهم ينتشون اجربة الجلد ويرمونها عليها الاشكال الهندسية

وحينما التفت المرء يجد المرأة فسيمة الرجل في اعمال التربية والتهذيب ولها فيها اليد الطولى. ولا تنحصر اعمالها في دائرة المنزل بل تتعداها الى سائر الاعمال المعاشية وتتولى فتوتاً لا تستغني القبائل الاولية عنها في بدو عيشها وقد لا تنقص هذه الصناعات كل الاتصال عن المهام المنزلية كما هو الحال في الميشة الحضرية. فان الفلاحة الافريقية تركز الارض بمحورها وتطبعها على ظهرها. والديانة الهندية تكشط الجلود وتدخنها وتصنع اللان وتضفر ريش التافذ في خلال اطلها المنزلية

(١) اي ما يتعلق بولادة الاطفال وتربيته

(٢) الهوبي والنفاجر قبيلتان من قبائل هنود اميركا الشمالية

والباحث يجد ان الاعمال التي تسنها المرأة خارج دائرة واجباتها البيولوجية انما اقتضت بها العادات لا غير. وليس في تاريخ طبائع الخلق ما يدل على ان اشتغال المرأة بالسياسة كما بين قبيلة الاروكواز او منعها بلرمة من مشاركة الرجال في اعمالهم العادية كما بين بعض قبائل استراليا — هما امران طبيعان . ولا ما يبين ان المرأة اكثر ملازمة من الرجل او اقل لعمل التخار او الحياكة او الدباغة . او الاشتغال بالقنون او لغم الشعر الى غير ذلك وجيد ما هناك انه يريد ان بين ضوابط البشر المختلفة فرقاً عظيماً في توزيع الاعمال على الرجال والنساء . ونقائس بين الرجل والمرأة بيولوجياً وسيكولوجياً لترى هل المرأة بطبيعة خلقها وتركيبها احط من الرجل بدنياً وعقلياً برجه من الوجوه

المقابلة بينهما بدنياً

قام سنة ١٨٨٤ عالم اسمه بون البرحتس حاول ان يبين ان المرأة اقرب من الرجل الى التروود في تسعة اوجه من تركيب جسمها . فمراضة عالم آخر اسمه بول بارتز وسبقه رأيه هذا بقواديت اربعة اوجه من التسعة المشار اليها خطأ او منكوك فيها . وواحداً لا علاقة له بالموضوع . واربعة ليست بذات شأن يذكر في تأييد هذا الرأي . واستطرد من ذلك الى القول ان ابحت في تفضيل الذكر على الانثى او الاتى على الذكر في جميع اصناف ذوات الثدي بحث عقيم . ولو كان مجرد القول ينفع في اثبات رأي دون رأي لقلت ان الرجل اقرب من المرأة الى القرد لانه اشبه به منها من وجهين ظاهرين وهما قوة المضغ وكبر الوجه . وقد قال الاستاذ شولتس ان المرأة اقرب شهاً من الرجل بالولد ولكنها لم يستنتج من ذلك ان الرجل ارفع منها تهرمجياً . نعم ان المرأة تشبه في شكل جسمها الطنص المونود حديثاً من حيث طول الجذع وقصر اناقسين وكبر الرأس كما قال شولتس ولكنها وقف عند هذا القول ولم يستنتج منه شيئاً يفضل الرجل على المرأة بل لو شاء لاستنتج منه ان الرجل ادنى منزلة من المرأة لا ارفع منها لانه بطول ساقيه وصغر رأسه اشبه بالقرد من المرأة . ومن رأيه ان الرجل والمرأة مختلفان في بنيتهم ولكنها متساويان بيولوجياً او في الكمال البيولوجي كما قال

ثقل الدماغ

ولا يزال بعض العلماء يحاولون بناء العلوي والقصور على مسألة صغر دماغ المرأة بالنسبة إلى دماغ الرجل استناداً إلى فون شائع وهو أنه كلما زاد ثقل الدماغ زادت قوة الإدراك وبالعكس. وتبيحت في هذه المسئلة الآن فنقول:

لا ريب أن الثقل المطلق للدماغ الرجل اعظم من ثقل دماغ المرأة في كل شعب من الشعوب التي قست ادمغتها. في الانكليز مثلاً وجد ان متوسط ثقل دماغ الرجل في عدد كثير من الرجال وزنت ادمغتهم ١٣٧٥ جراماً ومتوسط ثقل دماغ المرأة ١١٨٣. ومثل ثقل الدماغ سعة الجمجمة. فقد وجد ان متوسط سعة الجمجمة في ١١٠ رجل بافاري ١٥٠٣ سنتيمترات مكعبة. وفي ١٠٠ امرأة ١٣٣٥ سنتيمتراً مكعباً

وماك ذلك ان حجم دماغ الرجل المطلق يزيد عن حجم دماغ المرأة. هذا صحيح ومثله في النسخة ان الحجم المطلق لدماغ الثيل او الخوت يزيد عن حجم دماغ الرجل. فان ثقل دماغ الثيل ٤١٠٠ جرام الى ٤٨٥٠ والخوت ١٩٠٠ الى ٢٨٥٠. فن الجهول والحالة هذه ان يعنى شأن كبير على حجم الدماغ المطلق في المقابلة بين ادراك الرجل والمرأة ولاسيما انه ثبت ان ادمغة بعض كبار العلماء دون المتوسط بكثير في ثقلها وادمغة بعض متوسطي انهم فوق المتوسط بكثير. فقد وزن دماغ رجل عادي الفهم فبلغ ٩٠٠ جرام ووزن دماغ آخر مثله فيها فبلغ ٢٥٥٠ جرام

وإذا اتقلنا من البحث في ثقل الدماغ المطلق ومن مقابلة ادراك الرجل بادراك المرأة بناء عبيد الى البحث في ثقل الدماغ النسبي اي ثقله بالنسبة الى ثقل الجسم كله وجدنا ان دماغ المرأة النسبي ثقل من دماغ الرجل. وبعبارة اخرى ان نسبة ثقل جسم الرجل الى ثقل جسم المرأة كنسبة ١٠٠ الى ٨٣ في حين ان ثقل دماغ الرجل الى ثقل دماغ المرأة كنسبة ١٠٠ الى ٩٠. وقد درس شولس نسبة ثقل الدماغ والجسم في الرجل والمرأة بناء على قياس كثير من العلماء فوجد ان الترق في كل حال منقاداً للعوى ارجح عن المرأة. مثال ذلك ان شغال جعل متوسط ثقل دماغ الرجل ١٣٧٥ جراماً والمرأة ١٢٤٥ جراماً. ووقن جسم

الرجل ٦٥٠٠٠٠ جرام والمرأة ٥٥٠٠٠٠ جرام فالتفـة ١ من ٤٧٥٤٧ في الرجل
و١ من ٤٤٠١٧ في المرأة

الرجل والادراك

يقول قائل اذا كان ذلك كذلك فهل يصح الاستنتاج ان المرأة اسمى ادراكاً
من الرجل . والجواب لا بالمقابلة مع سائر العالم الحيواني . والا لوجب ان يكون
الجرذ ارقى من الانسان والخلد الاوربي ثاقبي الرجل بينه وبين المرأة وان يكون
التبيل في احدى دركات النهم لان ثقل دماغه النسبي صغير جداً وهو ليس كذلك اذ
المعروف انه ارق فهماً من الجرذ والخلد

على ان المقابلة بناء على هذا الاساس لا تنحصر في قائمة فهي ترى ان
اذا كان حيوانان متساويين تلاماً فان الاعلى منهما في السلم الحيواني اقل دماغاً
بالنسبة الى الاخر . واذا تشابه حيوانان في تركيب الجسم كان يكونا من نوع
واحد وتشابه في قوة الفهم كالاسد والمر مثلاً فان الاصغر منهما جسمياً اقل
دماغاً نسبة الى الاخر . وبناء على هذه النقصية الاخيرة فسر كون دماغ المرأة
اقل من دماغ الرجل نسبياً

اذاً فما هي علاقة ثقل الدماغ بالادراك في الرجل والمرأة . جيد ما يقال جواباً
عن هذا السؤال ان تصورات الرجل عن المرأة او المرأة عليه لا يزال بلا براهان .
نعم ان هناك علاقة بين الدماغ والادراك ولكنها ليست بمعنى ان حجم الدماغ
يعين مقدار النهم والادراك على التمام . وقد نخلص بارتداد هذا البحث تلخيصاً
تراه قرين الصواب دون غيره حيث قال : كل ما يستنتج من ثقل الدماغ في
الرجل والمرأة فهما متساويان عقلاً وادراكاً على ما نظهر

المقابلة بينهما عقلياً

وننظر الآن الى المسئلة من الوجهة العقلية وبعبارة اخرى ما هو حكم علماء
الفلسفة العقلية في الرجل والمرأة من حيث قوة العقل . فقد كان المذهب انساني
قبلاً ان المرأة دنى من الرجل عقلاً على وجه عام وانه لو امكن تعيين متوسط
تفكير الرجال فكيف ولتقول النساء كهن وجد ان الرجل ارق عقلاً من المرأة من
هذا التبيل . ولكن التجربة الدقيقة واختبار انساب والشابة في المدارس

حلا كثيرين من العلماء على تقص المذهب المتيق المذكور آنفاً من ان المرأة احط عقلاً من الرجل اجلاً . وحلاصة ما قال به فريق منهم بناء على امتحانهم ان المرأة اعظم اجتهاداً ومواظبة على عملها من الرجل ولكن تموزها قوة الابتكار والابداع واستقلال الفكر . وقد خالفهم بول بارتلز فارتأى ان المرأة المتوسطة مثل الرجل المتوسط في جميع اتجاهات الفكر سواء كانت لعب الشطرنج او الرياضة او العلم او البورصة او سائر الاشغال التي تتوقف في الاكثر على العقل . وانما يسبقها الرجل في الميادين التي يبني التفوق فيها على الشخصية البحتة فهو اقدر منها زعيم جمهور او رئيس سفينة او شاعراً او طبيباً او مسلحاً او مديراً للصيان في المدارس وما شاكل ذلك

ولكن فوريل خالف بارتلز فقال ان الرجل والمرأة متساويان في المواظف والرجل اسمى عقلاً والمرأة اسمى قوة ارادة

ومنذ عهد غير بعيد بعث البروفسر سدويك الاميركي يستفتي اساتذة الجامعات الاميركية في اي الفريقين ارجح عقلاً في زعمهم الطلبة ام الطالبات . وطلب منهم جواب هذا الاستفتاء . فجاب كثيرون انهم لا يرون الطالبات دون الطلبة في المقدرة العقلية

ومع هذا كله لا مناص لسباح الخاني من الغرض من التسليم بان المرأة قصرت عن الرجل في ميدان الاعمال العقلية بشهادة التاريخ . ويحاول انصار المرأة تعديل ذلك بقولهم ان الرجل اكثر شروداً عن المتوسط من المرأة . اي ان الرجال الذين فانوا النساء في هذه الحجة هم من الشواذ الذين لا يبني عليهم حكم وليسوا من القاعدة

يقابل ذلك ما ذهب اليه العالم مكلي في كتاب الله منذ قرن في تشريح وباتولوجيا المقابلة . وقد استدل فيه بناء على اعتبارات باثولوجية ان المرأة اكثر شذوذاً من الرجل . قال : ولما كانت المرأة احط من الرجل وكان الشذوذ عرضاً من اعراض الانحطاط فاستدلانا صحيح . ومحايفحك انه لمناص الشذوذ فيما بعد يجب بين العلماء من علامات التفوق حكم عامة التشريح والتاريخ الطبيي بان الرجل اكثر شذوذاً في بناء جسمه من المرأة . اما العلماء الذين ذهبوا الى ان

النساء مساويات لرجال عن المتوسط فقالوا الآن بناء على رجم من زعم ان الرجال اكثر شذوذاً من النساء في بناء اجسامهم انهم لا يبدون ان يكونوا اكثر شذوذاً كذلك في شغلهم وانما لا يعد ان يكون هذا سبب تقصير المرأة عن الرجل في ميادين السبق العلمي

ولكن هذا المذهب مذهب كون الرجل اكثر بظفرته شذوذاً عن القاعدة من المرأة ليس انه ما يؤيدها علمياً . فقد قال كارل بيرسن في كتابه شذوذ الرجل والمرأة ، انه ليس ثمة دليل يدل على ان الرجل اكثر شذوذاً من المرأة بل الدلائل التي عندها تدل على ان المرأة اكثر شذوذاً منه بقليل . ودرس متشاور وهو نورث اجسام التي طفل بعيد ولادتهم فيوجدوا فرقاً تشريحياً بين الذكور والاناث في هذا النظم . ومثل ذلك يقال عن الشئ العقلي فانه ليس هناك ما يثبت ان الرجل اكثر شذوذاً من المرأة في الصفات العقلية كما قال هولنورث . فالمذهب موجود والبرهان عليه معدوم

خلاصة المقالة

خلاصة ما تقدمه ان تصنيف دائرة المرأة في اعمالها الاجتماعية بلحوى انما اعمال ليست صيغية لها لانها لم تعودها انما اساسه جعل التاريخ وعلم طبائع الخلق . فان المرأة مساوية للرجل تشريحياً اي في تركيب جسمها . والرجل لا يفوقها في دماغه او قوة عقله . وكل المحسر جزر الاغراض القديمة التي كانت ولا تزال تصم عقول الناس عامة واطنى منذ البحث العلمي والاستحسان العقلي ظهر باجلى بيان ان المتوسط العقلي فيهما واحد . وقد عزوا قلة التوانع من النساء في جنب توانع الرجال الى كثرة شذوذ الرجال ولكن ليس هناك دليل علمي على ان الرجل اكثر شذوذاً عن القاعدة من المرأة . اما قول من قال ان العادة المعروفة تمنع المرأة ان تتقن عملها كالرجل فقول لا يؤيده برهان . وحكم العلم في عصرنا حكم سلمي وهو انه ليس ثمة اسباب عقلية تقضي بحصر دائرة سعي المرأة حصراً اصطناعياً بناء على كونها اقل اتقاناً لاعمالها من الرجل